

الخطاب الشعري وصناعة الحدث التاريخي " الشاعر محمد الغماري نموذجا"

Poetic Discourse and the Making of a Historical Event "The Poet Muhammad Al-Ghoumari as a Model

عزيز عالية،¹المركز الجامعي مغنية، azizalia3737@gmail.com<https://orcid.org/0009-0004-4965-7289>عبد الرحيم خديجة،²المركز الجامعي مغنية، khadidjadoctora68@gmail.com<https://orcid.org/0009-0001-4974-9237>

2025-02-18	تاريخ القبول	2024-06-12	تاريخ الاستلام
------------	--------------	------------	----------------

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى استكشاف تجليات الحدث التاريخي في الخطاب الشعري للشاعر محمد مصطفى الغماري. لقد اعتمدت على المنهج التحليلي الذي يستعين بإنجازات البنيوية والأسلوبية والسميائية في دراسة النصوص الشعرية وتحليلها. بموهبته الشعرية الفائقة، تمكن الغماري من صبغ تجربته الشعرية بروح العصر، حيث منحها دفقا تاريخيا متجدداً ومتساوقاً مع مواقفه. وقد انعكس ذلك في قدرته على التوحد مع الأحداث التاريخية المستدعاة في شعره، مما أضفى على شعره بعداً تاريخياً عميقاً. على سبيل المثال، جسد الشاعر أحداثاً تاريخية مثل غزوة بدر في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والثورة التحريرية الجزائرية، مما أظهر عمق ارتباطه بالتاريخ وقدرته على التعبير عنه بشكل شعري مبدع.

الكلمات المفتاحية: محمد مصطفى الغماري؛ التاريخ؛ الشعر؛ الخطاب الشعري؛ الحدث التاريخي.

Abstract

The study aimed to explore the manifestations of the historical event in the poetic discourse of the poet Mohammed Mustafa al-Ghoumari. I have relied on the analytical approach that draws on structural, stylistic and semiotic achievements in the study and analysis of poetic texts.

With his superior poetic talent, Al-Ghoumari was able to dye his poetic experience in the spirit of the times, giving it a renewed historical flow consistent with his attitudes. This was reflected in his ability to unite with historical events called for in his hair, giving his hair a deep historical dimension. For example, the poet embodied historical events such as Badr's foray into the Prophet's biography and the Algerian editorial revolution, which demonstrated the depth of his association with history and his ability to express it in an iconic poetic manner

Keywords: Muhammad Mustafa Al-Ghoumari; history; poetry; poetic speech; historical events

مقدمة

من الصعب الإحاطة بمختلف القضايا والإشكالات التي يطرحها تصور الشعر للحدث التاريخي في أدبنا العربي الحديث والمعاصر. تعد قضية التاريخ قضية جوهرية في وجودنا الجزائري والعربي، حيث ما زلنا أمة تاريخية والتاريخ جزء لا يتجزأ من فكرنا ونظرتنا للحياة. بل إن التاريخ يعتبر مصدراً من مصادر الإبداع والنشاط الحضاري في الحياة الإنسانية.

بالنسبة للشاعر، يشكل التاريخ المادة الخام والمصدر الأساسي لخطاباته لما يحتويه من مواقف وأحداث متشابهة. إذا رجعنا إلى الشعر العربي القديم، نلاحظ أن الشاعر كان يقدر الحدث التاريخي لما فيه من تسجيل لمراحل حياته وأمجاد قبيلته. في شعره، يفتخر الشاعر بتصوير عادات وتقاليد ومعتقدات قبيلته، مما يجعل الشعر والحدث التاريخي ثنائيتين متلازمتين لا يمكن لأحدهما التخلي عن الآخر إذا أراد الاستمرار.

هذا التداخل بين الشعر والتاريخ يظهر جلياً في الأدب العربي، حيث يستلهم الشاعر من التاريخ لخلق نصوص تعبر عن روح العصر وتقدم رؤية شاملة للأحداث والمواقف التي تشكلت عبر الزمن. فالشعر ليس مجرد فن جمالي، بل هو وسيلة لتوثيق وتحليل التاريخ، مما يساهم في فهم أعمق لثقافتنا وتراثنا.

الشاعر يتعامل مع الحدث التاريخي بمظاهره المتعددة، تماماً كما يتعامل مع معجم اللغة. يسعى إلى تفرغ الحدث من دلالاته القديمة وملئه بدلالات معاصرة، مع المحافظة على الحقيقة التاريخية. هذه الحقيقة، التي قد تكون تحولت إلى مجرد اصطلاح بالنسبة للقارئ، يعيد الشاعر إحيائها ويضفي عليها معاني جديدة تتناسب مع الزمن الحالي، مما يبقيها حية وذات مغزى "فالمعول الأساسي في استعمال التاريخ رزما هو قدرة الشاعر على شحن هذا الرمز بما يخدم التجربة الراهنة، التي يريد الشاعر أن يبلغها للمتلقي، ألا يكون التاريخ مجرد ذكر لأسماء ولحوادث فقط تهدف إلى التذكير بماض ما". (غنيم، 2001)

لذا، فإن الشعر مسكون بالحدث التاريخي، إذ لا يمكن للشاعر أن يذهب بعيداً عن ملابساته. في الحدث التاريخي نقاط مضيئة غيرت الواقع بكل أشكاله، وهذا ما يدفع الشاعر إلى انتقاء الحوادث التاريخية التي يراها دالة ومناسبة مع بنية قصيدته. بهذه الطريقة، يعيد الشاعر تشكيل الحدث التاريخي ليناسب رؤيته الفنية ويضفي عليه أبعاداً جديدة تتماشى مع الزمن المعاصر "فليس الماضي كلما مضى، الماضي نقطة مضيئة في ساحة معتمة شاسعة، وأن ترتبط كمبدع بالماضي هو أن تبحث في هذه النقطة المضيئة". (أدونيس، 1994، صفحة 313)

سنحاول من خلال هذا البحث تقديم قراءة للحدث التاريخي في الخطاب الشعري لمصطفى محمد الغماري. أين يُعد الحدث التاريخي في الشعر العربي الحديث وسيلة إبلاغية وإيحائية شديدة الخصوصية في بناء الخطاب الشعري على وجه التحديد، سنستكشف كيف يوظف الغماري الأحداث التاريخية لتعزيز رؤيته الشعرية وإضفاء عمق على نصوصه، مما يساهم في إثراء التجربة الشعرية وإيصال رسائل ذات مغزى تاريخي ومعاصر، ومن هذا الأساس طرحنا مجموعة من الإشكالات

مفادها: ما ال أزمة التي ولدت هذا الفن؟ وما هي الظروف التي هيمنت على الشاعر في إبداعاته؟ وما هي تجليات الحدث التاريخي في الخطاب الشعري لمصطفى محمد الغماري؟ وبالتالي فالهدف من هذه الورقة البحثية إلى البحث عن تجليات الحدث التاريخي في الخطاب الشعري للشاعر محمد مصطفى الغماري، الذي خصه الناقد عبد المالك مرتاض قائلًا: "وقد يشكل مصطفى الغماري وحده اتجاهًا شعريًا قائمًا بنفسه في الجزائر...ومن المضامين التي عالجهَا الغماري بشيء من الاستمرار والإصرار مع دفاعه عن الإسلام والعروبة في الجزائر، وعن قضايا إسلامية وتحريرية وإنسانية أخرى". (مرتاض، 2007، صفحة 260)

وللإجابة عما سبق اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الذي يستعين بإنجازات البنيوية والأسلوبية والسميائية في دراسة النصوص وتحليلها، للكشف عن أبعاد الشاعر ووعيه بذاته ومحيطه، وعلاقة الشعر بالواقع.

أولاً/ الحدث التاريخي

مفهوم الحدث التاريخي

تعددت آراء العلماء في تعريف التاريخ بصورة عامة إلا أنهم اتفقوا أنه "الإعلام بالوقت" ويمكن تعريفه كما جاء به ابن خلدون في مقدمته: "خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس، والعصبية وأصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش، والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران من الأحوال." (خلدون، 1337، صفحة 14)

وتعرّف مفردة الحدث بالعودة إلى القواميس القديمة على أنها "ما وقع، ما له أهمية، أو الواقعة ذات الطبيعة غير العادية"، وبذلك يُمكن تعريف الحدث بثلاثة تعاريف مختصرة كما جاء به المؤرخ بول ريكور في مقاله "عودة الحدث"؛ ففي المعنى الأول نجد الإشارة إلى كل ما يقع: سواء ظهورًا ووقوعًا، أي أنه في كل يوم يحدث شيء ما، ويرتبط هذا المعنى بالظهور الفيزيائي للحدث. أمّا المعنى الثاني للحدث: هو أنه ينبغي أن يُتفق على كونه واقعة وحدثًا مهم بشكل كافٍ من طرف المعاصرين. (الأشهب، 2022)

والمعنى الثالث: وهو أمر اختيار الأحداث وترتيبها، أو كما أسماه ريكور وضع الحبكة وبذلك يمكن القول إن مصطلح الحدث مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم التاريخ، حيث إن التاريخ من دون الحدث يدخل نفق أزمة فقدان هويته. (الأشهب، 2022)

1. مفهوم الخطاب الشعري

انتشر مصطلح "الخطاب" في الدراسات اللغوية واللسانية الحديثة في القرن العشرين انتشاراً واسعاً. يبدو من المفيد في تحديد دلالاته أن ننطلق مما يكتنفه من معانٍ في اللغات الأوروبية واللغة العربية. في الثقافة الغربية، اشتقت أغلب المرادفات الشائعة لهذا المصطلح من الأصل اللاتيني "Discursus"، المشتق بدوره من الفعل "Discurrere" الذي يعني "الجري ذهاباً وإياباً". هذا الفعل

يتضمن معنى التدافع الذي يقترن بالتلفظ العفوي واقتران الكلام، (حجازي، 2005، صفحة 124) وأصبح هذا الجذر يحمل معنى "الخطاب" منذ القرن السابع عشر، حيث كان يدل على اللقاء بطريق الصدفة، ثم المحادثة والتواصل، ومن ثم تشكيل صبغة شفوية أو كتابية عن فكرة ما. بهذا المعنى، يظل "الخطاب" بعيداً عن اللغة الأدبية، إلا إذا قُيِّد بوصف يحيل عليها. ولعل هذا التقييد هو ما أُشير إليه ضمناً في عبارة "صيغة مفهومية شفوية أو كتابية". (شرشار، 2006، صفحة 12) في الثقافة العربية، أصبح مصطلح "الخطاب" أكثر تداولاً نتيجة احتكاك النقاد العرب بالتيارات النقدية العالمية، ورغبتهم في تجاوز المفاهيم التقليدية والسعي إلى آفاق المعرفة العلمية. يُستخدم مصطلح "الخطاب" في السياق اللساني والنقدي للإشارة إلى التواصل اللغوي والثقافي والفني، وكذلك للإشارة إلى التحليل النقدي للنصوص الأدبية والفنية. يعكس هذا الاهتمام المتزايد بمصطلح "الخطاب" رغبة النقاد في التفاعل مع التطورات النقدية العالمية وتبني المفاهيم الحديثة في دراسة الأدب والفن. (مولاي، 2005، صفحة 252)

صحيح، يمكن أن يساعدنا النص القرآني والمعاجم العربية في فهم دلالة مصطلح "الخطاب" في المدونة اللغوية العربية. القرآن الكريم يُعتبر مصدراً هاماً لفهم اللغة العربية واستخدامها، حيث يُظهر القرآن الكريم الأداء الفعلي للسان العربي وتطبيقاته في مختلف السياقات. كما أن المعاجم العربية توفر لنا المعاني والجذور اللغوية للكلمات، مما يساعد في فهم أصول المصطلحات واستخداماتها في اللغة العربية بشكل شامل. باستخدام هذه المصادر، يمكننا أن نستوعب معاني وسياقات استخدام مصطلح "الخطاب" في اللغة العربية بشكل أفضل وأعمق.

وقد وردت مفردة خطاب في القرآن الكريم ثلاث مرات، في المواضع الآتية :

"وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ" (القرآن الكريم، ص، الآية 19)

قال تعالى: "إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعُونَ وَتِسْعُونَ نَجْعَةً وَلِي نَجْعَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَرَّنِي فِي الْخِطَابِ" (القرآن الكريم، ص، الآية 23)

قال تعالى: " رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا" (القرآن الكريم، النبأ، الآية 37)

يبدو أن دلالة مصطلح "الخطاب" في هذه المواضع تندرج تحت حلقتين دلالتين. الحلقة الأولى تتعلق بالكلام المفهوم، وهي الجانب اللغوي والنحوي للخطاب، حيث يتم التعبير عن المعاني والأفكار من خلال استخدام اللغة وتركيباتها بطريقة مفهومة ومتناسقة. الحلقة الثانية ترتبط بوسائل الإقناع، وهي الجانب الذي يسعى فيه المتحدث إلى إقناع المستمعين بالأفكار أو الرؤى التي يعبر عنها في خطابه، سواء أكانت ذلك من خلال الاستدلال بالحجج والدلائل، أم باستخدام تقنيات الإقناع اللغوية والشكلية مثل التشبيه والاستعارة والترتيب اللفظي المناسب. هاتان الحلقتان الدلالتان تعكسان جوانب مختلفة من فهم وتحليل مفهوم "الخطاب" في اللغة العربية.

وجاء في مقاييس اللغة: " الخاء والباء والطاء أصلان أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطابا، والخطبة من ذلك، والخطبة الكلام المخطوب به. (ابن فارس، 2002)

أما اصطلاحاً فقد اتسعت مفردة "الخطاب" وتجاوزت دلالتها الأصلية التي تدل على الكلام أو المخاطبة، ودخلت في شبكة معقدة من الدلالات التي تم نسجها بواسطة النقد الأدبي الحديث بمختلف تياراته.

في النقد الأدبي الحديث، يُفهم "الخطاب" بشكل أوسع ليشمل ليس فقط النصوص الكتابية أو الشفهية، بل أيضاً التواصل اللغوي والثقافي بشكل عام. يعبر مفهوم "الخطاب" عن الطريقة التي يتم بها التواصل والتفاعل بين النص والقارئ أو السامع، ويتضمن أيضاً التأثيرات اللغوية والثقافية والاجتماعية التي تنبثق من هذا التفاعل. هذا التوسع في مفهوم "الخطاب" يعكس التطورات الحديثة في النقد الأدبي والاهتمام المتزايد بدراسة اللغة والتواصل في سياقات مختلفة، فهو "كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوباً أو ملفوظاً"، غير أن الاستعمال الاصطلاحي تجاوز الجملة الواحدة سواء كان ملفوظاً أو مكتوباً" (الزمخشري، 1997، الصفحات 82-86-691)، إلا أن استعمال مصطلح "الخطاب" قد تجاوز الدلالة الأولية للكلام أو المخاطبة، وأصبح يرتبط بمفهوم أكثر تحديداً يتعلق بما لاحظه الفيلسوف ه. غرايس في عام 1975. حيث أشار غرايس إلى وجود دلالات غير ملفوظة في الكلام يدركها المتحدث والسامع دون أن يكون لها علاقة معلنة أو واضحة. على سبيل المثال، عندما يقول شخص لآخر "ألا تزورني؟"، قد لا يفهم السامع أن هذه جملة استفهام، على الرغم من أن شكلها النحوي يوحي بذلك، بل يفهم أنها دعوة للزيارة. هذا المفهوم يسلط الضوء على البعد الدلالي العميق للخطاب، وعلى العلاقات اللافتة التي يحملها الكلام والتي تتأثر بالسياق الثقافي والاجتماعي والشخصي للمتحدث والسامع.

في الأدب العربي الحديث، يشكل الخطاب خروجاً عن المألوف في تركيبته البنيوية والدلالية؛ لأن أدبيته لا تكمن في أسلوبه فقط، بل في دلالاته التعبيرية والرمزية. يعدّ الخطاب "فعل النطق، أو فاعليته تقول وتصوغ في نظام ما يريد المتحدث قوله". فهو كتلة نطقية لها طابع الفوضى وحرارة النفس ورغبة النطق بشيء ليس هو تماماً الجملة ولا هو تماماً النص، بل هو فعل يريد أن يقول. هذا الفهم يبرز أهمية الخطاب في الأدب العربي الحديث كوسيلة للتعبير عن الأفكار والمشاعر بشكل مباشر وشاعري، وكذلك كوسيلة لتحقيق التأثير الفني والجمالي.. (القماطي، 2020، صفحة 145)

وعموماً فمصطلح الخطاب يعود إلى عنصري اللغة والكلام، فاللغة هي نظام الرموز يستعملها الفرد للتعبير عن أغراضه، والكلام إنجاز لغوي يتوجه به المتكلم إلى شخص آخر يدعى المخاطب، ومن هنا تولد مصطلح الخطاب بعده رسالة لغوية يبتها المتكلم إلى المتلقي، فيستقبلها ويفك رموزها، ونعته هنا باللفظ الشعري يدل على الجنس الأدبي "الشعر" الذي يركز على ركنين أساسيين هما: الوزن والقافية وإما على كل ما يثير انفعالا، أو إحساسا جماليا، وسواء كان شعراً أو نثراً أو رسماً (غضاب، 2014/2015، صفحة 15)

2. العلاقة بين الخطاب الشعري والحدث التاريخي

عندما نتحدث عن علاقة الخطاب الشعري بالحدث التاريخي، فإننا ندخل في نقاش حول

علاقة الشعر بالتاريخ بشكل عام. يعدّ الشعر ذاكرة وبوحاً وانفعلاً وموقفاً وتجسيداً، ويمتلك لغة خاصة به وخيالاً يحمل التمرّد على الواقع ليسبح بالمراد والمتمني. إنه ينحو نحو الجمال ويسعى لدغدغة المشاعر وإثارتها.

عندما يتعامل الشاعر مع الحدث التاريخي في شعره، فإنه يقوم بتجسيده وتأمله وتأثيره في الذاكرة الجماعية، ويمكن أن يكون لهذا التأثير تأثيراً عميقاً على المجتمع والثقافة. يعكس الشاعر من خلال قصائده رؤيته وموقفه تجاه الأحداث التاريخية، وقد يستخدم الشعر كوسيلة للتعبير عن المأساة والألم، أو للتأمل في المعاناة والصمود، أو حتى للتفاؤل والأمل في مستقبل أفضل. في كل الأحوال، يبقى الشعر وسيلة فنية قوية لإحياء وتوثيق الذاكرة التاريخية وللتعبير عن الهوية الثقافية والوجدانية للشعوب.

كلاهما موقف ممّا جرى، وموقف من الحياة والأشخاص، لهما أدواتهما ووسائلهما، كلاهما يسعى لنسج الحدث ولكن كلّ بطريقته.

صحيح، فالشعر لطالما عكس واقع الأحداث الإنسانية وما فيها من مضامين فكرية ومشاعر إنسانية وطبائع اجتماعية. يقدم الشاعر من خلال قصائده نظرة فنية وثاقبة على كيفية التعامل بين الإنسان وبيئته ومجتمعه، ويعكس نتائج هذه الاتجاهات وإفرازاتها العقائدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية. لذلك، يمكن القول إن الشعر لم يكن مجرد وقفة على السياسية فقط، بل ظلت مضامينه الحية صورة للواقع الاجتماعي والثقافي والفكري. يعبر الشاعر عن تجارب الإنسانية ومشاعرها وآلامها وأملها، ويسلط الضوء على التحديات والصراعات التي تمر بها المجتمعات. بواسطة لغة الشعر الجميلة والمتنوعة، يمكن للشاعر أن يحمل رسائل قوية ومؤثرة تشد الانتباه إلى قضايا هامة، ويساهم في توعية وتغيير الوعي الجماعي. وبهذا الشكل، يلعب الشعر دوراً حيوياً في توثيق التاريخ وتشكيل الوعي الاجتماعي والثقافي. "الشعر لم يكن في توثيقه للأحداث وقفاً على السياسية منها، بل ظلت مضامينه الحية صورة للواقع الاجتماعي والثقافي والفكري" (القيسي، 1980).

الشعر كثيراً ما يعول على التاريخ في تفسير الحدث التاريخي، ووصفه والتأثير فيه، حيث يستطيع الشاعر بقوة الحدس الشعري ونفاذ رؤيته الفريدة أن يميز التفاصيل الدقيقة والمعاني العميقة للأحداث التاريخية. بواسطة لغة الشعر الجميلة والمتنوعة، يمكن للشاعر أن يقدم تفسيرات وصفوفاً تختلف عن تلك المقدمة بالتاريخ الرسمي أو السجلات العادية. لهذا السبب، يمكن القول إن الشعر أحياناً يصبح مصدراً لتوثيق الأحداث التاريخية وحفظها وعدم نسيانها. يمكن للشعر أن يمثل التاريخ بشكل مختلف وجديد، مما يساهم في إضافة طبقة جديدة من الفهم والتأويل للتاريخ. فعلاً، العرب اتخذوا من الشعر مصدراً لتوثيق تاريخهم، حيث أن الأشعار كانت تحفظ بذكرات الأيام والأحداث والتجارب، وتعكس الثقافة والهوية والقيم الاجتماعية للمجتمعات العربية. لذلك، لا يمكن فهم التاريخ العربي دون اللجوء إلى شعرائهم وأشعارهم، التي تعتبر مصادر ثرية وحية للتاريخ

والثقافة العربية، "إذ كان الشعر لديهم "ديوان عملهم ومنتهى حكمهم، يأخذون إليه، ويصيرون" (شاهين، صفحة 190)

استمرت العلاقة بين الشعر والحدث التاريخي على مر العصور، وخلال التدوين التاريخي العربي الإسلامي، كان الشعر والتاريخ يتشابكان في بناء الهيكل الهيكلي للخبر التاريخي وعرضه. ظهرت بعض سمات الحس التاريخي من خلال الروايات التي دونت في العصر الإسلامي، حيث كان الشعر يستخدم كوسيلة لتوثيق التاريخ والثقافة والمجتمع، وكان يعتبر بعض الباحثين أن التاريخ جزءاً لا يتجزأ من الأدب، ولا يمكن إلغاء أهمية الشعر كوسيلة لحفظ التراث الثقافي والتاريخي للشعوب. فقد كان الشعر لدى العرب في الجاهلية وما بعدها يعتبر مصدراً رئيسياً للمعرفة والحكمة، وكان يحتفظ بذاكرة الأمم وأحداثها وتجاربها. وبالفعل، يعكس ما ذكرته من قول الخليفة عمر بن الخطاب ومقولة ابن عباس الاعتقاد القوي بأهمية الشعر كوسيلة لحفظ التاريخ والأنساب والثقافة واللغة والمعرفة العامة.

يمكن رصد تجليات أهمية الشعر كوثيقة تاريخية بوضوح من خلال وفرة القضايا ذات الصلة بحوادث الحياة التي تناولها الشعراء في مختلف الأغراض الشعرية التقليدية، مثل الوصف والمدح والهجاء والرتاء والغزل والخمریات والحماصة والفخر. فقد عبر الشعراء عن تجارب الحياة والأحداث التاريخية بأساليبهم الشعرية المتنوعة، وكان الشعر يعتبر بمثابة وثيقة تاريخية تسجل الكثير من الأحداث التي قد لا يتم تدوينها بشكل رسمي، مما يساهم في توثيق تفاصيل التاريخ وتوضيح جوانب غير قليلة منها، وبالفعل، كان الشعر يعكس الروح الزمانية والثقافية للمجتمعات، ويوفر فهماً أعمق للتحويلات التاريخية والمشارع الإنسانية والقيم الاجتماعية التي كانت تهم الناس في تلك الفترات. وبهذه الطريقة، يسهم الشعر في إثراء تاريخ الأمم والثقافات وتوثيق الذاكرة الجماعية. ثانياً/ الخطاب الشعري وصناعة الحدث التاريخي في شعر "محمد الغماري":

سنحاول من خلال هذا العنوان معرفة كيفية ارتباط الشعر بالحدث التاريخي وكيف يتجلى هذا الارتباط في الخطاب الشعري. سيكون من المثير للاهتمام أن نكشف عن مواطن وجود الحدث التاريخي في الشعر، وكيف يعتمد الشاعر لتبرز فكرته المركزية بشكل أفضل. من خلال استعراض كيفية استخدام الشاعر لأفكار أخرى ومفاهيم تتعلق بالحدث التاريخي، يمكننا فهم كيف يتم تحويلها ببنية إلى قصائد شعرية تعكس رؤيته وتجربته. وكذلك التركيز على كيفية تقاطع أفكار الشاعر الخاصة مع الأحداث التاريخية وكيفية تجسيد ذلك في الخطاب الشعري الحاضر يمكن أن يكون مفيداً لفهم الطريقة التي ينسج فيها الشاعر تجاربه ومشاعره الشخصية مع الحدث التاريخي لإنتاج شعر ذو قيمة فنية وثقافية.

1. الخطاب الشعري في صناعة الحدث التاريخي الديني

يبدو أن مصطفى محمد الغماري قد استخدم الحدث التاريخي الديني بشكل مميز في شعره، محاولاً تفسير ما يستعصي على القارئ وإيصال رسالته بوضوح أكبر. وعند استعراض متن شعره، نجد أنه يمتلئ بأسماء العلماء والشخصيات الدينية المعروفة، وكل اسم له دلالة معنوية وثقافية

عميقة تضيف للخطاب الشعري طبقة إضافية من الغنى الفكري. حيث تركز الدراسات والنقد عادةً على تحليل دور هذه الأسماء في الخطاب الشعري، وكيف أنها تساهم في نقل المعاني وتأثير الشعر على القارئ. فهي لم تعد مجرد علامات لغوية تعبر عن شخصيات معينة، بل أصبحت تحمل أحياناً معنوية وثقافية تعزز فهم القصيدة وتفاعل القارئ معها. يمكن أن يكون تحليل استخدام الأسماء والشخصيات الدينية في شعر الغماري مفيداً لفهم كيفية تأثير الحدث التاريخي الديني على تشكيل الخطاب الشعري وتعميق مفهومه. لأنها "تحمل تداعيات معقدة تربطها بقصص تاريخية... وتشير قليلاً أو كثيراً إلى أبطال وأماكن تنتمي إلى ثقافات متباعدة في الزمان وفي المكان"(مفتاح، 2005، صفحة 165)

إن الغماري يبدو وكأنه استخدم الحدث التاريخي الديني بتميز واضح في شعره، وهو يعمل على توجيه القارئ لفهم فكرته المركزية وإيصال رسالته بشكل أفضل. يمكن أن نرى أن استخدامه للأسماء والشخصيات الدينية يحمل حمولة تراثية غنية تعيد القارئ إلى ماضٍ تاريخي وتستحضر له ذكريات الأحداث والمواقف البارزة للشخصيات التي تمثلها.

تركز دراسات النقد والأدب غالباً على تحليل دور هذه الأسماء والشخصيات الدينية في الشعر، وكيفية تأثيرها على فهم القصيدة وتفاعل القارئ معها. تُستخدم هذه الأسماء والشخصيات لإضافة طبقة إضافية من الغموض والعمق إلى الخطاب الشعري، مما يساهم في إثراء تجربة القراءة وتعميق فهم المعاني المطروحة.

يبدو أن الغماري قد استخدم الحدث التاريخي الديني في شعره بشكل مميز، محاولاً توجيه القارئ نحو فهم أعمق لمواضيعه ورسالته. توظيفه للأحداث التاريخية يعكس استعداده لاستخدام الخلفية التاريخية كجزء من تشكيل الخطاب الشعري وتحقيق الغرض الفني والفكري لقصائده. ويتجلى هذا بوضوح في قصيدته "الهجرتان" حيث استرسل الشاعر في تفصيل أحداث هجرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة دون إمعان في الوقوف على الحثيثات البنائية التي يعرفها الحدث التاريخي ويتجلى ذلك فيما يلي:

لِلَّهِ تَرْغَمُ عَابِدُو الْاَوْثَانِ	أَذِنَ الرَّسُولُ لِصَحْبِهِ فِي هِجْـرَةٍ
وَلَزَادَهَا إِشْرَاقَةُ الْإِيمَانِ	وَلِهَجْرَةٍ فِي اللَّهِ أَقْدَسُ رَحْلٍ
وَجَرَوْا... وَلَمْ يَجْرُوا لِكِسْبِ رَهَانِ	هَبُّوا وَمَا هَبُّوا لِلنَّيْلِ مَعَانِ
وَتَنِيَّةً... فَجَبَّتْ عَلَى الْاَذْقَانِ	هَجَرُوا الطَّوَاغِيَّتِ الَّتِي سَكِرَتْ بِهـَا
أَلَّا يَقَرَّ ظُلْمَةُ الْإِنْسَانِ (الغماري م،	هَجَرُوا إِلَى بَلَدٍ تَأَلَّى مَـلْـ

(1994، صفحة 16)

ومن الواضح أن الغماري ينتمي إلى تقليد أدبي ديني بارز في شعره، حيث يبرز استخدامه المتكرر للمرجعية الإسلامية والمصادر الدينية في قصائده. يتضح هذا بشكل خاص في تسليطه الضوء على الأحداث التاريخية الدينية، مثل غزوة بدر الكبرى، واستخدامه لهذه الأحداث كوسيلة

لنقل رسالة دينية أو لتعزيز الروحانية والإيمانية لدى القارئ. النص القرآني يظهر بوضوح كمرجعية رئيسية في خطاب الغماري، سواء بشكل مباشر من خلال استشهادات مباشرة بالآيات القرآنية، أو بشكل غير مباشر من خلال تأثير القيم والمبادئ الإسلامية على قصائده. هذا يعكس عمق تأثير الدين والتاريخ الإسلامي في شعره، وتعبيره عن تعاطفه وانتمائه لهذا الإرث الثقافي والديني. من خلال هذا الاستخدام البارع للحدث التاريخي الديني، يقوم الغماري بتأطير رؤيته الشعرية ورسالته بشكل مباشر، حيث يوظف هذه الأحداث كوسيلة لتحفيز القارئ وتوجيهه نحو القيم الإيمانية والمعاني الروحانية التي يحاول تجسيدها في شعره، إذ يقول حيال ذلك:

ثَسَافِرُ كُلِّ الْمَرَايَا مَعِي

وَتَهْزُ أَبْرَ الْهُوَى بِالسُّجُونِ (الغماري م.، 1983، صفحة 17)

ويقول الشاعر أيضا:

أَلْفُ بَذْرٍ تَرْهَى بِمَلْيُونِ مَهْرٍ

أَيْنَ مِثْلُهَا زِيَادُهُمْ وَهَشَامُ؟ (الغماري م.، 1983، صفحة 12)

2. الخطاب الشعري في صناعة الحدث التاريخي "ثورة التحرير المجيدة"

إن استخدام الشاعر الغماري للأحداث التاريخية المتعلقة بالثورة الجزائرية يعكس تضامنه مع القضايا الوطنية والقومية، ويظهر تفانيه في تخليد ذكرى الثورة وتمجيدها في شعره. يبرز الغماري في قصائده الجهود البطولية للمجاهدين ويكرم تضحياتهم من أجل الوطن والحرية، مما يسلط الضوء على القيم الوطنية والإنسانية التي تحملها هذه الثورة.

تعتبر هذه القصائد للغماري استجابة شعرية للظروف السياسية والاجتماعية التي كانت تعيشها الجزائر في ذلك الوقت، وتعبر عن تضامنه مع قضية الاستقلال والحرية. كما أنها تسلط الضوء على الصراعات الفكرية والحضارية التي شهدتها الجزائر خلال تلك الفترة، وتعزز الانتماء الوطني والعربي لدى الشعب الجزائري.

تظهر هذه القصائد أيضًا قدرة الشاعر على استخدام الشعر كوسيلة لنقل الرسائل الوطنية وتعزيز الوعي الوطني، وهو ما يجعله جزءًا لا يتجزأ من الحركة الثقافية والأدبية التي نشأت في ذلك الوقت في الجزائر.

تحديدًا، خلال فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر، كان الشعراء مثل مصطفى محمد الغماري يلعبون دورًا هامًا في نقل رسائل المقاومة والتضامن مع القضية الوطنية. يتضح من خلال خطابهم الشعري توجهم نحو كشف الوقائع والحقائق وتوثيق الظلم والاضطهاد الذي تعرض له الشعب الجزائري تحت حكم الاستعمار.

تعتبر قصائد الغماري وغيره من الشعراء الجزائريين خطابًا مقاومًا ضد الظلم والاستبداد الفرنسي، حيث كانوا يستخدمون الشعر كوسيلة للتعبير عن معاناة الشعب والنضال من أجل الحرية والكرامة. من خلال توثيقهم لأحداث التاريخ والتركيز على القيم الوطنية والدينية، كانوا يقفون ضد محاولات التزوير والتضليل التي كان يقوم بها الاستعمار الفرنسي لتشويه صورة النضال الجزائري.

بهذه الطريقة، يساهم الشعراء مثل الغماري في إلهام الناس وتحفيزهم على المقاومة والصمود في وجه الظلم والاستبداد، كما يعززون الوعي الوطني والإسلامي ويكشفون عن الحقائق والمعاناة التي يتعرض لها الشعب الجزائري تحت حكم الاستعمار.

"طبيعي أن يرتبط الشعر عند الغماري بفكرة الإصلاح في هذا الظرف العصيب، وهنا اتجه الفكر إلى التركيز على فكرة الإحياء وكانت النظرة فيه سلفية تتجه إلى الماضي الذي يمثل التاريخ المحتذى به" (الركيبي، 1981، صفحة 561). يظهر من خلال شعر الغماري تأثير الثورة التحريرية الجزائرية على الوعي الديني والسياسي للشعب وللشاعرين بشكل خاص. يرى الغماري في هذه الثورة تجسيداً للنضال الديني والسياسي في آن واحد، حيث يربط بين قيم الإيمان والحرية والكرامة في مواجهة الظلم والاستبداد. أين تحولت الحركة التحريرية في الجزائر إلى صراع معركي وفكري متعدد الأبعاد، حيث تجلّى الصراع بين القيم الدينية والسياسية في شعر الغماري وغيره من الشعراء. ومن خلال تلك النماذج الشعرية، يتم تصوير الثورة كمعركة دينية لتحقيق الحرية والعدالة، وكرسالة تحمل قيم الصمود والتضحية والوفاء للتاريخ والدين. تعكس هذه القصائد الشعرية للغماري وغيره من الشعراء التزامهم القوي بالقضية الوطنية والدينية، وتعبّر عن رؤيتهم العميقة للحركة التحريرية ومعانات الشعب الجزائري، مما يساهم في توثيق التاريخ ونقل رسالة الصمود والتضحية للأجيال القادمة. قال الغماري حيال ذلك:

وَرَدَ صَاحِبُكَ يَا جَزَائِرُ وَهَوَى تَطَوَّفُ بِهِ الْبَشَائِرُ
بِنْتَ قَافِلَةِ الْبَشْرِ وَالْدَرْبُ ثَائِرَةٌ وَثَائِرُ
نَهَلْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ حُمُرُ تَهْوُدُ مِنَ الشِّيمِ الْبَوَائِرُ
يَا بِنْتَ غُفْبَةٍ فِي الْمَصْـاءِ وَبِنْتَ طَارِقٍ فِي الْمُخَافِرِ (الغماري م، 1985، الصفحات

(40-39)

وتغنى الشاعر بالأوراس في نغمة ملحمية توحى بمتانة تاريخ الأمة وحاضرها بقوله:

مَلَامِحُ الْفَجْرِ يَا أَوْرَاسُ أَعْرِفُهَا بَدْرِئَةُ الْوَجْهِ كَمْ غَنَى لَهَا الْغَارُ
غَنَى فَارُوقٌ فِي التَّارِيخِ مَوْسِمَنَا بَدْرٌ وَتَفَرَّعَ بِالْقُرْآنِ بَشَارُ (الغماري م، 1983،

صفحة 12)

الأوراس لها مكانة خاصة وقدسية لدى الشعب الجزائري نظراً للدور البارز الذي لعبته في انطلاق الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي. إذ يعتبر الأوراس محوراً مهماً للنضال الوطني، وكانت المنطقة التي شهدت العديد من الأحداث التاريخية المهمة والمعارك الشهيرة التي أسهمت في صناعة مسار الثورة. حيث تجسد الأوراس في عيون الشعراء والمثقفين الجزائريين رمزاً للشجاعة والصمود والإرادة في مواجهة الظلم والاستعمار. وقد أظهر الغماري هذه القدسية من خلال شعره، حيث تغنى بجمال الطبيعة في الأوراس وبشهادة وبسالة أبنائها، مما يبرز دورها الكبير في إشعال نار الثورة والصمود أمام الظلم والاضطهاد، وبهذه الطريقة، يصبح الأوراس في شعر الغماري رمزاً

للتضحية والصمود والإصرار على تحقيق الحرية والكرامة، ويعكس تفاني الشعب الجزائري في الدفاع عن أرضه وهويته وقيمه، فيقول:

وَأَوْرَاسُنَا بِالْجِرَاحِ تَثُورُ وَأَشْوَاقُنَا فِي مَخَاضِ الرُّمَالِ تَثُورُ
لِثَوْلَدٍ فِي زَمَنِ الرَّدِّ التَّبْجِي مَسَافَاتٍ بَدُرٍ وَثُورَقُ فِي زَمَنِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْتِلَابِ بِسَاتِينَ
طَهْرٍ (الغماري م.، 1986، صفحة 09)

يظهر من خلال شعر الغماري التعانق الحميم بين التيار الوطني القومي والتيار الديني الإسلامي، حيث يجسد هذا التعانق الروح الوطنية والدينية التي تتلاقى وتتداخل في خطابه الشعري. يعكس هذا التوجه الشعري ترابط القضايا الوطنية مع القيم والمفاهيم الدينية، وكيف أن النضال من أجل الحرية والكرامة يتجاوز الأبعاد السياسية ليصبح جزءاً من الرؤية الإيمانية والمعتقدات الدينية. تجسد هذه الأفكار والمفاهيم في شعر الغماري تفاعلاً متبادلاً بين القيم الوطنية والدينية، حيث يسعى الشاعر إلى توحيد الجهود وتعزيز الوحدة الوطنية من خلال استدعاء القيم الإسلامية في مواجهة الظلم والتعبير عن الصمود والإرادة في مواجهة الاستعمار والظلم. هذا التعانق الحميم بين التيارين يعكس استشعاراً شعرياً للمسار الوطني والديني في الثورة الجزائرية، حيث يبرز دور الإيمان والقيم في قيادة الشعب نحو الحرية والكرامة.

خاتمة ونتائج الدراسة

يمكن القول إن الشاعر مصطفى محمد الغماري استطاع بموهبته الشعرية الفائقة أن يصبغ تجربته الشعرية بروح العصر، وأن يعكسها بطريقة تجمع بين الحس الشخصي والحدث التاريخي. فقد كان لديه حس تاريخي مرهف وقدرة على قراءة التاريخ بشكل واع وتوظيفه بطريقة فنية دقيقة.

تمكن الغماري من اختيار الأحداث التاريخية بعناية، وتجسيدها في شعره بشكل يتناغم مع أفكاره ورؤيته الشخصية، وهو ما جعل خطابه الشعري يتفاعل مع الواقع التاريخي وينعكس على القارئ بشكل قوي ومؤثر.

إن استخدام الغماري للأحداث التاريخية في شعره كان يعكس روح العصر وينقل القضايا والهموم التي يعيشها الشعب بطريقة مباشرة ومؤثرة. وقد نجح الغماري في خلق حدث تاريخي شعري يعكس الواقع الحضاري والثقافي للأمة، ويوثق لها مسيرتها وتحدياتها وإنجازاتها. بهذه الطريقة، أصبحت قصائده تجسيدا للحدث التاريخي بما ينسجم مع الواقع ويعكس رؤيته الشخصية، وبالتالي أصبح لها تأثير كبير في تشكيل الوعي الوطني والتأثير في المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. ابن خلدون. (1337). مقدمة ابن خلدون. مؤسسة الرسالة.
2. ابن منظور. (1992). لسان العرب (ط1). بيروت: دار صادر.
3. أحمد بن فارس. (2002). معجم مقاييس اللغة (ط2). اتحاد الكتاب العرب.
4. أدونيس. الثابت والمتحول (طبعة 1994). بيروت: دار الساقي.
5. إيمان غضاب. (2015/2014). جماليات الخطاب الشعري في ديوان "حين تنزلق المعارج.. إلى فيها لحليمة قطاي". مذكره ماستر تخصص أدب حديث معاصر جامعة محمد خيضر بسكرة بسكرة.
6. د. الأشهب. (01 09، 2022). موضوع. تاريخ الاسترداد 05 05، 2024، من <http://mawdoo3.com>
7. عبد الرحمان حجازي. (2005). مفهوم الخطاب في النظرية المعاصرة. مجلة العلامات في النقد، 15 (57).
8. عبد العزيز خليفة القماطي. (2020). الشعر والخطاب الشعري وآلياته الأدبية في النقد العربي الحديث. مجلة القرطاس (7).
9. عبد القادر شرشار. (2006). تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
10. عبد الله الركبي. (1981). الشعر الديني الجزائري الحديث (ط1). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
11. عبد الملك مرتاض. (2007). معدم الشعراء الجزائري ينفي القرن العشرين. الجزائر: دار هومة.
12. علي بوخاتم مولاي. (2005).. (2005). مصطلحات النقد العربي السيماءوي. دمشق: اتحاد الكتاب والعرب.
13. غسان غنيم. (2001). الرمز في الشعر الفلسطيني. الحديث والمعاصر (ط1). دمشق: دار العائدي للنشر والدراسات والترجمة.
14. مصطفى محمد الغماري. (1986). ديوان حديث الشمس والذاكرة. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
15. محمد مفتاح. (2005). تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
16. محمود بن عمر الزمخشري. (1997). الكشف (ط3). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
17. محمود صبحي أحمد شاهين. (د.س.). صدى الاحداث التاريخية في شعر الأعشي. جامعة الأزهر.
18. مصطفى محمد الغماري. (1985). ديوان الموثورة (ط1). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
19. مصطفى محمد الغماري. (1994). ديوان الهجرتان (ط1). الجزائر: دار المطالب العالية.
20. مصطفى محمد الغماري. (1983). ديوان قراءة في آية السيف. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
21. نوري حمودي القيسي. (1980). الشعر والتاريخ. بغداد: دار الحرية للطباعة.